قول جناب خصمنا عن ولاية الفسانيين على دمشق. ومن أراد البينات المنصّة على ذلك فعليه بمراجعة كتاب العلّامة نلدك في امراء غسان

وقبل الختام نبدي للخواجا امين خير الله ملاحظةً بخصوص ما كتبهُ عن الاسم الحديث الذي اتّخذهُ الروم غير الكاثوليك اعني به اسم الاورثوذكس بدلًا من اسم الملكيين فنقول ان كان جنابهُ يستصوب هذا اللقب فنحن لا نشاطُهُ فيه. بيد اننا لا نزال مع كثيرين من القراء نظنّ انّ الأولى بطائفة قديمة ان تحافظ على اسمها المميّز لها فلا تتّسم باسم حديث شائع بين مذاهب تخالفها بالاصل والمعتقد. فما قول جناب المنتقد عن أسرة شريفة كأسرة بربون مثلًا تنبذ اسمها لتنعت نفسها بلقب يعمُّ غيرها كثيرين. أفليس هذا يغضُّ من شأنها ؟ فليحكم ذوو البصيرة

رئاسة

الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق

في القرن الثاني للنصرانيّة

الاب يوحنا راي اليسوعي

بيّنا في مقالة اولى صدّرنا بها العدد الاول من هذه السنة (ص ٢) ان رئاسة الاحبار الطاقة احدى القضايا الرؤوسيّة التي استلتها الكنيسة من التقليد الرسولي وجرى بمقتضاها المسيحيون في بدء النصرانيّة في جميع انحاء المعمور اذ لم يكن وقتئذٍ شقاقٌ بين الكنائس وكان « لجمهور المؤمنين قلبٌ واحد ونفس واحدة » (اعمال ٤ : ٣٢)

ولم يكن شرقنا العزيز في طاعته لكرسي رومية مخالفًا للغرب بل كان الخافقان يجريان في ذلك جري خيل الرهان في حلبة الميدان. ومصداقًا على هذا القول جمعنا في نبذتنا السابقة ما وجدناهُ في بطون التاريخ الشرقيّ من الشواهد الناطقة والادلّة الصادقة ما يكفي لبيان هذه القضيّة في القرن الاول للنصرانيّة

على انّ هذه الحلقة الاولى ما كانت الّا بدء سلسلة متواترة امتدّت منذ غرّة النصرانيّة الى عهدنا دون ان تنفصم بتةً. واليوم رأينا ان نثبت هذه الرئاسة البابويّة

على كنائس المشرق في القرن الثاني لظهور الدين المسيحي ولا غرو انَّ في شواهده لحجَّةً نيرة لا يمكن نقضها ولا يستطاع ردّها

*

والشاهد الاول الذي نلقاهُ في اوائل المئة الثانية ونجا من آفات الدهر انّما هو للبابا الشهيد القديس سكستوس او كيستوس الاوّل المتولّي الخلافة البطرسيَّة من سنة ١١٧ الى ١٢٧ . فانَّ هذا القديس العظيم الذي تكرّمهُ الكنيستان الشرقيَّة والغربيَّة وتطرنان عظم فضائله (١ وجَّه الى الكنائس جمعاء رسالتين (٢ صدَّر الثانية منهما بهذا العنوان « سكستوس اسقف الكنيسة الرسوليَّة العامّ ». فقرَّر بهذا الاسم الجليل ايمان الكنيستين في الرئاسة البابويَّة . اذ لا نجد غيرهُ من الاساقفة خُصَّ بمثل هذا الاسم او تجاسر ان ينسبهُ الى نفسهِ . ولا يقولنَّ قائل انَّ سكستوس تعدَّى طورهُ فادَّعى امرًا باطلًا فانَّ لنا في حياتهِ واستشهادهِ ضامنًا عن فضائلهِ السامية التي لم تسمح لهُ بدعوى الزور . ويشهد ترتليان الكاتب الكنسي في اثناء هذا القرن الثاني وبعد اضوائهِ تحت لواء المراطقة انَّ نوَّاب المسيح على الارض كانوا يدعون بمثل هذه الاسماء الدالَّة على سموّ السلطة الدينية فانَّهُ في كتابهِ عن العفَّة (ف ٤) يلقّب البابا ڤكتور « بالحبر الاعظم واسقف الاساقفة »

وفي هذه الرسالة نفسها يدعو سكستوس اساقفة الارض كلها الى « رفع امورهم الى الكرسي الرسولي اذا ما حكم عليهم احدٌ ظلمًا ». ثم يحرّضهم « ألّا يتأخروا عن المجيء الى عاصمة الايمان عندما يستقدمهم لبعض شؤون كنائسهم الدينيَّة ولا يعودوا الى كراسيهم دون رسالة ممضاة من يد الحبر الروماني » ثم يردف قائلًا: « انَّ الاساقفة قد أُمروا بمخابرة هذا الكرسي الرسولي ليصونهم ويذبّ عن حقوقهم لانَّ الرسل قد قرَّروا وفقًا لامر الرب بان يدافع هذا المقام الرسولي عن حقوق الاساقفة في مستقبل الزمان كما انهم منهُ اتخذوا ملء سلطانهم في البدء ». فهذه الشهادة غاية في الوضوح تزيل كل شبهة عن الرئاسة البابويَّة على الشرق كما على الغرب . ولذلك حاول المبتدعون انكار صحَّتها غير انها اثبت وأصدق من ان يقوى المحاكون على نقضها وابطالها

---

١) راجع الجزء الاول من شهر نيسان (ص ٥٣٣) للبرلنديّين

٢) راجع اعمال الاباء اليونان في مجموع مين PP. GG. V, *col.* 1077

والحق يُقال انَّ سكستوس لو لم يكن عارفاً تمام المعرفة انّ للكرسي الروماني الحل والعقد في الامور الدينيَّة وانَّ كلَّ الكنائس لا يخالجها ريب في ذلك لما تجاسر ان يدَّعي لنفسهِ سلطة لا حقَّ لهُ فيها ولَأثار عليهِ لطعهِ وتطاولهِ البغضَ والشحناء. على أنّنا لا نرى احداً من الاساقفة اقدم على ان يكسر من زهوهِ وبطأ من نخوتهِ

بل نرى بعكس ذلك انّ اساقفة العالم كانوا يلبُّون منذ ذلك العهد دعاء الحبر الاعظم فيتقاطرون الى رومية لمشاهدة خليفة بطرس وطلب مشورتهِ في مُعضلات الامور. وقد وجد صاحب العاديات الرومانيَّة الكُنت دي روسي في دياميس رومية عدَّة مدافن لاساقفة كانوا أتوا من كلّ فجٍّ لزيارة نائب المسيح على الارض فماتوا في امّ المدائن

وكان علماء العالم المسيحيّ في القرن الثاني يقدمون رومية ليستقوا من ينابيع تعاليمها. نخصُّ منهم رجلين من مشاهير الشرق القديس يستينوس الشهيد النابلسيّ المولد والقديس هجزيبوس اول المؤرخين النصارى وكان هذا من اهل فلسطين دخل رومية ليأخذ عن احبارها التقاليد المسيحيَّة التي ورثوها من الرسل وتلاميذهم وعنهُ اخذ اب التاريخ الكنسي اوسابيوس القيصري كثيراً من اخبارهِ الدينية كما نبَّه على ذلك. وقد شهد هجزيبوس لصحة ايمان الكنيسة الرومانيَّة ومحافظتها على التعاليم الرسولية (١)

وما لنا نقول عن اساقفة الشرق واعيان النصرانيَّة فانّنا نرى زعماء الشيع وائمَّة المبتدعين انفسهم في هذا القرن الثاني يثبتون رئاسة الكرسي الروماني فانهم كانوا يتقاطرون من الشرق الى رومية لعلّهم يحيون حظوى عند خلفاء بطرس الرسول ورجاء ان يبثُّوا زوان تعاليمهم في الكنيسة التي لا يقويها ضلال. ومن جملة هؤلاء اصحاب البدع كيرنثوس وثالنتان وكردون ومرقيون الذين بارحوا آسية الصغرى ومصر ليفشوا في عاصمة الكثاليكة وباء اضاليلهم لكنَّ رؤساء الكنيسة كانوا ساهرين على وديعة الايمان فلم يكونوا ليسمحوا للذئاب الخاطفة ان تعيث في حظيرة المسيح. بل صوَّبوا عليهم سهام الحرم وقطعوهم من دوحة الكنيسة. وفي يدنا رسائل كتبها البابا القديس بيوس الاول والقديس هيجينوس وغيرهما ورد فيها رَدْل هذه الشيع الاثيمة وتحذير المؤمنين من مكر اصحابها. وعلى هذا المنوال ترى عظماء الاحبار قد شذَّبوا حينئذٍ اهل البدع كما

(١) اوسابيوس في الكتاب الرابع من تاريخهِ الفصل ٢٢

سبق بطرس الصفا ونفى من الكنيسة سيمون الساحر رأس الخوارج

* * *

ومن اعترفوا برئاسة البطاركات على كنائس الشرق في مطاوي القرن الثاني للمسيح اساقفة اجلاء وشهداء افاضل وقديسون كرام شرّفوا بعلمهم وفضائلهم كنائس آسيّة الصغرى التي انشأها الرسول يوحنّا الحبيب. ولا غروَ فانّ معلّمهم كان ارشدهم الى هذه الطاعة لخلفاء هامة الرسل وكرّر عليهم ما سمعهُ من فم الربّ ودوّنهُ في انجيلهِ الشريف انّ لبطرس وخلفائهِ أعطي السلطان لرعاية قطيع المسيح سواء كانوا من الخراف او من النعاج (يوحنّا ٢١ : ١٥)

واوّل هؤلاء الاساقفة القديس پوليكرپوس اسقف ازمير وتلميذ يوحنّا الحبيب. فان هذا الحبر الجليل الذي كان اسمهُ شائعاً في كلّ انحاء المشرق كان ورث عن يوحنّا الرسول عادة اقامة عيد الفصح في اليوم الرابع عشر من هلال شهر نيسان وهو اليوم الذي يعيّد فيهِ اليهود فصحهم وكان يتبعهُ في ذلك بعض اساقفة آسية الصغرى انّ بقيّة الكنائس تبعاً لتقليد كنيسة رومية المتواتر كانت تتنق جميعها على الاحتفال بعيد الفصح في الاحد الواقع بعد اليوم المذكور. فسعى الاحبار الرومانيون في إزالة هذا الاختلاف بين الكنائس واستدعى البابا انيكيتوس اسقف ازمير ليفاوضهُ في هذا الشأن فاتى پوليكرپوس الى حاضرة النصرانيّة واجتمع باسقف رومية فتباحثا في هذا الصدد زمناً طويلاً فكانت نتيجة هذه المباحثة انّ البابا سمح لاسقف ازمير واساقفة آسيّة بالمحافظة على عادتهم وأجل حكمهُ في ذلك الى وقت انسب ثمّ رخّص لهُ (παρεχώρησεν) بان يقدّم في كنيسة رومية الاسرار المقدّسة. هذا ملخّص ما ذكرهُ ايريناوس ونقلهُ عنهُ اوسابيوس القيصري. وفيهِ كما ترى شهادة جديدة لسلطان الكنيسة الرومانيّة على كنائس الشرق

غير أنّهُ بعد وفاة پوليكرپوس حصل اضطراب بين الكنائس في هذا الامر فعُقدت في الشرق مجامع مختلفة لفحص قضيّة عيد الفصح فاستصوبت كنائس فلسطين وسوريّة وبلاد الرها عادة الكنيسة الرومانية ورفعت الى خليفة بطرس نتيجة مفاوضات الآباء. فصادق البابا ڤيكتور على اعمال هذه المجامع ودعا كنائس آسيّة الصغرى الى نبذ عادتهم واتباع بقيّة الكنائس فأبى الخضوع پوليكراتوس اسقف افسوس وكتب

في ذلك الى البابا ليعلّل إباءهُ. وقد اثبت اوسابيوس في تاريخهِ كتاب پوليكراتوس وعقّبهُ بقولهِ انَّ البابا ڤيكتور استاء من عصيان الاسقف المذكور وذويهِ ونشر براءةً ليحرمهم من الكنيسة الكاثوليكيَّة. بيد انَّ بعض الاساقفة توسّلوا الى البابا ليغضّ النظر عن صنيعهم ويدعهم وعادتهم المأخوذة عن الرسول يوحنَّا. وكان من جملة من توسّطوا بين الحبر الروماني وكنائس آسيَّة القديس ايريناوس اسقف ليون وتلميذ پوليكرْپوس فسأل من مراحم البابا ان يضرب عن العصاة صفحًا. فداوموا عادتهم في تعييد الفصح مدَّةً الى ان انحازوا الى عادة جميع كنائس. ولمَّا التأم المجمع النيقاوي في ايام قسطنطين امر الآباء باقامة عيد الفصح في كلّ الكنائس جريًا على تقليد كنيسة رومية

فلمصري أيوجد برهان اقطع ودليل ألمع ممَّا سبق لبيان سلطان الكنيسة الرومانيَّة على الكنائس الشرقيَّة في امور الدين ؟ أفيقول المعترض انَّ الاحبار العظام ادَّعوا لهم رئاسة وهميَّة. لكن كيف يرضى العقل بان كنائس العالم جمعاء تقرّ بهذا السلطان ان لم يكن لهُ اساس متين في الانجيل الطاهر والتقليد الرسولي. لاسيما انَّ اساقفة رومية كانوا وقتئذٍ يعيشون في ضروب المحن والاضطهادات لا يكادون يخرجون من دياميس رومية وليس لهم من السلطان المدني ذرّة واحدة. فليعتبر العاقل

*

وفي هذا العصر عينهِ اشتهر في بلاد ليديا من اعمال آسيَّة الصغرى مليتون اسقف سرد. وقد اكتشف حديثًا الكردينال پيترا كتابهُ المعنون بالفتاح جمع فيهِ ملخَّص العلوم الدينية. ومن جملة ما ورد فيهِ ما ذكرهُ مؤلفهُ الشهير عن وحدة الكنيسة ووحدة ايمانها ونظامها الموكول امرهما الى الكرسي الاول (يريد كرسي بطرس) الذي يعدُّهُ « كركز التعليم ومرشد العقول ومنظّم الاسرار » (١

ومتّن ادَّوا في آسيَّة الصغرى شهادةً لرئاسة خلفاء بطرس في القرن الثاني للمسيح القديس ديونيسيوس اسقف كورنثوس فقد جاء لهُ في تاريخ اوسابيوس القيصري (ك ٤ ف ٢٣) رسالةٌ رفعها سنة ١٦٦ م الى بابا رومية القديس سوتير يشكر لهُ فيها تعطُّفهُ على كنيستهِ والاحسانات التي ارسلها في وقت المجاعة لمؤمني كورنثوس وفيها يقول: « انَّ الاحبار الرومانيين لما طُبعوا عليهِ من الهمَّة والفضل قد اعتادوا منذ غرّة النصرانيَّة ان

(١ راجع الجزء الثالث من مجموع الكردينال پيترا المعنون Spicilegium Solesmense

يمدُّوا يد المساعدة للكنائس في كلّ بلدة ». وفي هذه الرسالة يذكر الكاتب انّ رسالة البابا القديس اكليمس تُقرأ كلّ يوم احد في كنيسته (راجع المشرق ٣: ٨)

وهنا لا يسعنا ان نضرب صفحاً عن شهادة ايّ شهادة وردت في القرن الثاني عن سيادة كنيسة رومية المطلقة وسيطرة احبارها على كلّ البيع. وهي لقديس تفتخر به الكنيستان الشرقيّة لانهُ من ابنائها والغربيّة لأنهُ فيها سُقّف ألا وهو القديس ايريناوس اسقف ليون وتلميذ پوليكربوس فانّ هذا الامام الجليل وضع تأليفاً ضدّ الهرطقات ضمّنهُ طرائف بديعة في التقليد الكنسي. ومن جملة ما دوّنهُ في الفصل الثاني من كتابهِ الثالث قولهُ في محاجّة المبتدعين وتبكيتهم على اهمالهم التقاليد الرسولية ليحدثوا شيئاً جديدة (١): « انّ التقاليد الرسوليّة مصونة في جميع كنائس المعمور يقف عليها كلّ من لا تعميهِ الاهواء. فاذا استقرينا هذه الكنائس وطلبنا رأي الاساقفة الذين لا يزالون منذ عهد الرسل يدبّرون المؤمنين اجابوا جميعاً انهم لم يعرفوا ما ابدعهُ هؤلاء الاراطقة من الآراء الحديثة. ولكن يطول بنا ان ندوّن في كتابنا سلسلة كلّ الكنائس الرسوليّة وتواتر اساقفتها فكفانا لدحض الاراطقة ان نثبت هنا خلافة تلك البيعة العظمى واقدم الكنائس كلها واعرفها من الجميع وهي التي اسّسها الرسولان المجيدان بطرس وبولس ونبيّن تقليدها المتواتر في امور الايمان كما استلمتهُ منذ القدم وحافظت عليهِ بلا انقطاع فبهذا التقليد وايمان كنيسة رومية نحن نفحم جميع الهرطقات... لانهُ يقتضي على كلّ كنيسة في المسكونة جمعاء ان تلتجئ الى هذه الكنيسة (الرومانيّة) لاجل سموّ رئاستها وتقدّمها »

فلله من شهادةٍ لا تبقي مجالاً للتأويل او سعةً للسفسطة بل توضح باجلى برهان انّ الكنيسة الرومانيّة هي امّ الكنائس وانّ لها عليهنّ سموّ الرئاسة وانهُ لا بُدّ لكلّ كنيسة في الخافقين ان تلتجئ اليها وتأخذ عنها فكلّ كنيسةٍ انفصلت عنها انقطعت عن دوحة الايمان وكلّ كنيسةٍ اتّحدت بها نالت من جذورها مائيّة الحياة والخلاص

*

ومن الاكتشافات العجيبة التي يحقّ لعصرنا هذا ان يفتخر بها حجرةٌ ضريحيّة وجدها احد علماء البروتستانت يُدعى رمساي (Ramsay) في بلاد الاناضول سنة

(١) راجع اعمال الاباء اليونان في بين ٧ ٨٤٨

١٨٨٣ وعلى هذه الحجر كتابة غايةٌ في الشأن والخطر ورد فيها شهادة ثمينة عن الرئاسة البابويَّة في القرن الثاني للمسيح. والضريح المذكور هو للقديس أبرقيوس اسقف مدينة هيراپوليس اقامهُ لنفسهِ قبل وفاتهِ وكتب عليهِ باليونانيَّة ٢٢ سطرًا تتضمَّن ملخَّص حياتهِ واشارة واضحة الى اعظم اسرار الكنيسة الكاثوليكيَّة اعني سرّ القربان الاقدس. وهذا الاثر الجليل قد تكرَّمت الحضرة السلطانيَّة اعزّها الله وارسلتهُ كهديَّة ثمينة لخبر الاحبار لاون الثالث عشر بنسبة يوبيلهِ الاسقفي وهو اليوم من اجل ما يزورهُ الزوَّار في المتحف الواتيكانيّ

اما قولهُ عن رئاسة كنيسة رومية فهو جدير بالاعتبار. وهاك تعريبهُ:

« انَّ اسمي ابرقيوس وانا تلميذ الراعي البارّ . . . فهو الذي ارسلني الى رومية. كي اعاين تلك المدينة الملكيَّة واشاهد ملكتها اللابسة درعًا ذهبيًّا واحذية ذهبيَّة وارى ذاك الشعب المتختمّ بخواتم سنيَّة . . »

ففي هذه الكلمات الوجيزة اشارة واضحة الى مقام الكنيسة الرومانيَّة التي شبَّهها ابرقيوس بملكة بهيَّة الجمال تسمو فخرًا على غيرها من الكنائس وابناؤها كسادة متختمون بخواتم السراة والأعلام. ولعلَّ قائلًا يقول انَّهُ اراد مدينة القياصرة لا الكنيسة الرومانيَّة. اجبنا انَّ الراعي البار الذي حدا ابرقيوس الى مثل هذا السفر لم يكن ليبالي بمدينة وثنيَّة تكاثر فيها الجور وساد الفساد ولا يمكن حمل كلامهِ الَّا على الملكة الروحيَّة عروسة ذلك الراعي الصالح الذي خطب الكنيسة وجعلها لهُ كقرينة افتداها بدمهِ الثمين وطهَّرها باسرارهِ القدسيَّة (افس ٥ : ٢٧)

فهذه هي الشواهد العجيبة التي نجدها في القرن الثاني للمسيح المنبئة بتقدُّم الكنيسة الرومانيَّة وسيطرتها على كنائس الشرق. فسبحان من قرَّر ايماننا واثبتهُ بالبيِّنات العديدة لئلا نتلاعب بنا اضاليل البدع وترهَّات النِّحَل

الاحلام

للشاب الاديب جرجي عطيَّة احد طلبة مدرستنا الكلية

ورد الى ادارة المشرق الاغرّ سؤال من احد ادباء الموصل يطلب فيهِ ايضاحًا وتعليلًا عن مسئلة الاحلام واسباب حدوثها مما ورد التلميح اليهِ عرَضًا في القصَّة التي